

ذوق الجمال

وأثره في المجتمع

ما برحت الإنسانية تتطلع إلى غدما الذي يتحقق فيه بناء عالم جديد من الخير والحق والجمال . وما زال الفلاسفة العالميون وأحرار الفكر يلهمون بالمدن الفضيلة وتراوهم فكرة السلام الذي يشمل العالم جميعا ، فتمتنع الحروب وترتفع عن الأرض نعمة "مارس" وتتلاشى العداوة الكامنة بين الإنسان وأخيه الإنسان .

ولا شك أن ذلك اليوم المرغوب غير قريب ، وأنه ما يزال بين الإنسانية وبينه خطوات طوال . فلندع فريق الفلاسفة الحالمين يتفائلون ما شاء لهم القائل ، ولنحاول نحن أن نشعر أنفسنا بأن معاني السعادة والخير هي في متناول أيدينا متى أردنا ذلك وحرصنا على إرادتنا فيها . والحق أن الإحباط جدير بأن يهيبء الواقع المحسوس من شوارد الخيال ونوافر الأمانى ، وإن له لقوة على الخلق والتوايد وبعث الرغبة وتجديد الاحساس وإرباء الشعور بشئ من الأشياء ، ومن خصائصه - أو من مزاياه - إرهاف مواطن الخيال في النفس وتوير مراكز التصوير .

وليس في النفس الإنسانية شعور أسبق ظهورا من الشعور بالجمال ، ولا أصدق منه في إلهام النظرة والمعية البداهة . وهو المعبر الصادق عن نزعات النفس وخفايا التضمير لانصاله بمركز العاطفة وأرتباطه بالعزيزة التي تتوفز أبدا بأقوى ما في التوفز من خاجة واضطرار وأيما شعور تلهمه الطبيعة وتسده الفطرة ، فهو شعور مطبوع متمدد الجوانب في النفس عميق القرار .

وإننا لنشعر بالجمال قبل أن نعرف ما هو الجمال . وقد نختلف في تعريفه وتحديدته وبيان خصائصه ، ولكننا لن نختلف في الإحساس به والشعور بمزاياه التي تبده النظر أول ما يلقاه والجمال قبل أن يكون شية ظاهرة في عضو من الأعضاء ، في حي من الأحياء ، هو معنى باطن يوحى إلى النفس بأنه جميل ، وقد يبدهك الشئ الجميل قراه كذلك في جلته ولا يجوزك إلى التخصيص والتحديد . وذلك هو الشعور بالجمال .

والشعور بالجمال - أو ذوق الجمال - يتفرق في معناه بين أشياء شتى تنتهى كلها إلى معنى الجميل .

فهناك الشعور بجمال الحياة .

وهو الشعور الذى يواجه الحياة وتكليفها بالطلاقة والشوق والمخاطرة ، وينأى جهده عن لحظة الألوان القاتمة والجوانب الغامضة .

هذا الشعور يعلمنا كيف نحب الحياة وكيف نراها جميلة ، لأنها هي الحياة ! ويرشدنا الى الواجب فى الانتفاع بكل لحظة من لحظات هذه الحياة وإتقانها فى خير أحوالها ، حتى لا تنضب نعمة جهدنا ويقعدنا اليأس عن معاودة الجهاد ومواصلة الطمح . وهو يعلمنا أيضا كيف نعتز بحيواتنا وكيف نضن بها على الفراغ المسئوم والنضوب والجمود .

قلما نجد هذا الشعور فى دنيا الناس ! فهو لم يتمد حتى الآن دواوين الشعراء وأجواء الفنانين الكبار من أنصار مذهب الطلاقة والتفائل ، ومسيرة مذاهب الحياة المختلفة وعدم التمرد على الأقدار .

فتى يشعر الناس بجمال الحياة ؟ !



وهناك الشعور بجمال الانسانية .

وهو شعور الصداقة والتعاطف بين فرد وفرد ، وبين قبيل وقبيل ، وإنى لا كسب كثيرا — ولا أخسر شيئا — حين أوطد نفسى على الإيمان بالخلق الانسانى فى مظهره المعهود ، فأجذب الى أصدقاء يكون مدارهم فى الحياة من جنس مدارى ، وأجتهد فى الأغضاء عما يكون فى شعورهم نحوى من شذوذ أو انحراف ، معللا ذلك الشذوذ أقرب تمثيل الى البساطة ، فانه ليكون صادقا فى كثير من الأحيان ، ثم أنأى بأعتيابه عن التسخط والفضب ، ولا أحمل شيئا ما على مجمل سيء فعندئذ أستطيع أن أعاشر كل فرد وأصادق كل شخص عند الحاجة . وإن ذلك — أو خير ما فيه — لخلق أن يزيد نصيبى من العطف والتعاطف ، ويقوى عندى عناصر المشاركة الوجدانية لأفراد الانسانية جمعاء .

وقل مثل هذا بين أمة وأمة ، أو بين أمم العالم بأسره ، فهذا الشعور يحى التوتر ويتلاشى التمسب المشهود فى مالنا الحاضر ، كالتعصب للجنس وللدين .



وهناك الشعور بجمال الإيمان .

وإن أناما ليطغيهم الترف المادى الحديث فينكرون كل حقيقة تتصل بأمر الروح ، ويرعوا الى المادية الجوفاء التى قادتهم الى الاغراق فى إنكار الإيمان . وكأنهم ينكرون ذلك

الرباط المقدس بين الله والانسان ، وتلك النفحة الخالدة التي ترتفع بالبشرية إلى آفاق
العتيدة العلوية .

واجب هؤلاء أن يعلموا أن الانسان روح قبل أن يكون جسدا ، وأنه عتيدة قبل أن
يكون فكرا ، وإن الحبة لتفتد أكرم معانيها اذا هي مضت بغير قائد من الايمان ودافع
من الروح . ولن تكون هي الحياة اذا ظلت لعنة المادة تمل عليها مذاهبها وغاياتها ، وما لم
تتقدم الروح على المادة فستظل الانسانية حيث هي في مذهب "دارون" بغير تقدم
كبير !!



قلنا إن الشعور بالجمال ، أو ذوق الجمال ، يتفوق بين أشياء شتى تنهى كلها إلى معنى
الجميل .

فيتعدد الشعور بالجمال الكامن في ظواهر الكون ومشاهد الطبيعة ، فأى معنى للجمال
تلهمنا إياه عظمة الكون الكبير، تلك الأجرام اللانهائية والكواكب الأبدية في آفاق السما؟
وأى معنى للجمال تلهمنا إياه قداسة الطبيعة ، في عديد عاصرها وشتى وجوهها ؟

إن الطبيعة لصادقة حين تطالعنا بالضياء كل صباح، وحين توافينا بالظلام كل مساء ،
وذلك الصدق — إن شئت أن تسميه كذلك — سر من أسرار جمال الطبيعة ، فمتى يكون
الصدق سرا من أسرار الجمال في الانسان ؟ ومتى يكون جمال السريرة هو المعيار والمقياس
لاجمال الملامح والسمات ؟ ؟

ومتى يحذو الانسان حذو أمه الطبيعة ، فيفنيء الى مواطن الجمال في نفسه ، قبل أن
يتلمسها في مواطن الأشياء ؟

إننا نؤمن بالإنسان ، فهل يصدق ذلك الإيمان ؟



وبعد ، فإذا كان ذوق الجمال يؤثر في الفرد هذا التأثير ، فإنه لا يقل عن ذلك أثرا
في المجتمع عامة . فالمجتمع الذي يسود فيه ذوق الجمال ، ويحتكم الى فؤقه الخاص فيما يأخذ
وما يدع ، هو في جهته مجتمع مثالي من طراز رفيع .

لأن ذوق الجمال ، ينبىء عن الاستقلال فى مطالب الحياة وتكاليفها ، أو هو حرية الاختيار ، بين شيئين أو جملة أشياء ، ولن يكون المجتمع مستقلاً بنفسه ما لم يستقل ، قبل ، بذوقه الخاص فى منادحه وأغراضه . ولذلك كان الجمال فى مذهب بعض عباقرة الفكر هو الحرية ! أو هو الانطلاق من قيود الضمير رات إلى فضاء المشيئة والاختيار .

وإذا كان إدراك الحرية ثمرة من ثمرات ذوق الجمال ، فليس يضير المجتمع ، كأننا ما كان ، أن يتطاع إلى تذوق كل جميل ، وأن يشتغل به ويشجع عليه . ولتحرص على الجمال فى كل مظانه فإنه الفاصل الحاسم بين الأثرة والإيثار ، وبين الحرية والاضطرار ما

محمد محمود حمدان

” ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب
إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون “
” قرآن كريم “